المحاضرة السادسة

كلية العلوم الإسلامية – قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر : أ.د.أحمد قاسم عبد الرحمن

المرحلة : الثانية

اسم المادة انكليزي : **Isoll Tafser**

اسم المادة عربي : أصول تفسير

اسم المحاضرة انكليزي :

اسم المحاضرة بالعربي :. التفسير في عصر التدوين وحركته

مصدر أو مصادر المحاضرة : أصول التفسير د.خليل رجب حمدان – أصول التفسير وقواعده – خالد العك

رابعاً: التفسير في عصر التدوين وحركته

لم يدون التفسير في عصر النبي ﷺ، كما لم يدون في عصر الصحابة، وجاء عصر التابعين فأمر الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز **(ت١٠١هـ)** بتدوين الحديث، فكتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يكتب ما كان من حديث رسول الله ﷺ وسننه وحديث عمر ونحو هذا، وعلل ذلك بقوله: « فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء »، ووجهه بتوجيهات تيسر عمله وتضبطه، ويعد هذا أول عمل لتدوين الحديث والسنن، لكن هذا العمل قد فقد منذ زمن مبكر فلا تعرف أخباره. ثم أعاد الخليفة عمر بن عبد العزيز أيضا التوجيه بجمع الحديث، فكتب إلى أبي بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري **(ت ١٢٤هـ)** بأن يقوم بعمل مماثل، فاستجاب لأمره، ودون السنة في كتب خاصة، وكان من جملة ما دونه من السنة ما جاء عن النبي ﷺ من أحاديث في التفسير. ويعد عمل الزهري أول تدوين وجمع رسمي للسنة بصورة شمولية وواسعة.

كما قام جماعة من العلماء يطوفون في الأمصار ليجمعوا الحديث النبوي، فجمعوا بجوار ذلك ما روي عن النبي ﷺ في التفسير، وكان هؤلاء كلهم من أئمة الحديث كشعبة بن الحجاج **(ت١٦٠هـ)** ووكيع بن الجراح **(ت١٩٧هـ)** وسفيان بن عيينة **(ت١٩٨هـ)** وكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث وليس جمعا للتفسير على استقلال.

وتذكر المصادر أن بداية تدوين التفسير والتصنيف فيه قد بدأت ملامحها الأولى منذ عصر التابعين على يد تلامذة مدارس التفسير في الأمصار الثلاثة، ومع أنه غير ممكن أن نحدد على التعيين الدقيق أول من صنف في التفسير، لأن غالب ما كتب في ذلك العهد لم يصل إلينا، فإن الروايات وكتب التراجم تحكي قيام عدد من الأئمة المتقدمين بالتصنيف في التفسير، فقد روي أن سعيد بن جبير **(ت٩٥هـ)** دون صحيفة في التفسير، وصنف فيه أيضا مجاهد بن جبر المكي **(ت١٠٢هـ)** ،

ومثله روي عن الحسن البصري **(ت١١٠هـ)**، وروي أن واصل بن عطاء **(ت١٣١هـ)** له كتاب في معاني القرآن، لكن الظاهر أن بدايات التدوين في التفسير لم تكن تشمل آيات القرآن وسوره كلها، وإنما هي تتناول أجزاء منه، فلم تتسم بالشمول ولا بالترتيب.

وفي غضون العصر العباسي الأول، بدأ العلماء بالتصنيف في التفسير على الترتيب المعروف، من ذلك تفسير أبي محمد عبد الملك بن جريج المكي **(ت١٥٠هـ)** فقد روي أن له ثلاثة أجزاء كبار في التفسير رواها عنه محمد بن ثور، وتفسير السدي أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي**(ت١٢٧هـ)**، وتفسير سفيان الثوري **(ت١٦١هـ)** وتفاسير أخرى لم تصل إلينا .

وأقدم تفسير وصل إلينا؛ تفسير مجاهد بن جبر المكي **(ت١٠٢هـ)**، ثم تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي **(ت١٥٠هـ)**، لكن العلماء قد تكلموا في روايته، وله تفسير آخر للخمسمائة آية من الأحكام (مخطوط). ومن التفاسير المتقدمة التي وصلت إلينا **(تفسير كتاب الله العزيز)** لأبي زكريا يحي بن سلام التيمي البصري، ولد في الكوفة سنة **(١٢٤هـ)**، ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة **(٢٠٠هـ)**، وصفه الفاضل بن عاشور بأنه أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق، ويقع في ثلاثة مجلدات ضخمة ، وقول الفاضل بأنه أقدم تفسير وصل إلينا على الإطلاق لا يؤيده الواقع، فتفسير مجاهد وتفسير مقاتل هما أقدم عهدا منه، لكنه أقدم تفسير كامل بهذا الحجم وصل إلينا.

وتفسير يحيى يمثل بمنهجه ومحتواه صورة حية لطور من أطوار التفسير في مراحله الأولى، اعتمد فيه على القرآن قاعدة أساسية التزم بها، كما اعتمد على التفسير النبوي ذاكراً في الأغلب عمن حدثه مباشرة الأسانيد متصلة، وعلى اللغة، وعلى تفسير الصحابة والتابعين، لاسيما الحسن ومجاهد، ويذكر القراءات. ومما يؤخذ عليه أنه يكثر الرواية عن السدي وعن الكلبي، ولذلك وجدت فيه بعض الروايات الإسرائيلية دون أن ينقدها أو يبين رأيه فيها.

كما كان من تلك الحقبة المتقدمة من الذين صنفوا في التفسير الفراء **(ت٢٠٧هـ)** وكتابه **(معاني القرآن)**، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني **(ت٢١١هـ)**. وبقيّ بن مَخْلَد **(ت٢٧٦هـ)** قال ابن بشكوال عن تفسيره: لم يؤلف مثله في الإسلام.

ثم حدث تطور كبير في تفسير القرآن والتصنيف فيه وذلك على يد إمام اللغة والقراءات والسنة والفقه وأصوله والتاريخ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المولود في طبرستان عام **(٢٢٤هـ)** **(ت٣١٠هـ)** فوضع تفسيره الذي كان أوعب كتاب في التفسير بالمأثور وصل إلينا، جمع فيه كل ما وصل إليه من المروي في التفسير عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين وتابعيهم، مع ذكر أسانيدها، وترجيح بعضها على بعض، والذي يوشك المفسرون جميعا بعده أن يكونوا عالة عليه.

جاء بعده أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الغطفاني الرازي المشهور بابن أبي حاتم المولود سنة **(٢٤٠هـ)** والمتوفى بمدينة الري سنة **(٣٢٧هـ)**، الذي صنف في التفسير بالمأثور كتابا جليلا ضخما، طبع في عشرة مجلدات، والتزم فيه بذكر الإسناد، واختيار أصح الأسانيد، وانفرد بروايات لم تذكر عند غيره، فحفظ لنا عددا من تفاسير السلف بالأسانيد الصحيحة.

ولذا فإن اتجاه التفسير بالمأثور كان أول الاتجاهات والمناهج ظهورا، وقد أخذ يتسع مع الأيام، وكان المفسرون فيه على طريقتين: فمنهم من اقتصر في مؤلفه على المأثور، فوقف على تدوين الروايات، ولم يخلط معه شيئا من الرأي، كتفسير السيوطي **(ت٩١١هـ)** **(الدر المنثور)**. ومنهم من مازج بين الرواية والرأي، لكن الغالب عليه الرواية والنقل، وهو الأكثر، كتفسير الطبري والسمرقندي وابن كثير، فكان لدينا عدد كبير من كتب التفسير بالمأثور بنوعيه، لكن ما حدث أن من المفسرين بالمأثور من تجاوز الإسناد، فدخل بسبب ذلك الوضع في التفسير، واختلط العليل بالصحيح.

ثم دخل التفسير في طور آخر، بدأ على هيئة فهم شخصي، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان في بداياته الأولى يقتصر على الاجتهاد في حدود تفسير النص وإيضاحه، وبيان وجه الدلالة فيه، واستنباط المعاني التي تقتضيها دلالة اللفظ، وتدور في إطار النص، من غير توسع في الرأي يطغى على المعنى والمقصد القرآني، وهو مقبول ما دام يرجع إلى أصول التفسير وضوابطه، ثم أخذت هذه المحاولات تزداد وتتضخم، متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة، والعقائد المتباينة، حتى وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تتصل بالتفسير إلا عن بعد.

وهكذا تدرج التفسير واتجهت المؤلفات فيه اتجاهات متنوعة، وقد تميز هذا الطور بظهور آثار الثقافة الفلسفية والعلمية والعقائدية والمذهبية في التفسير، وقد تمثل بوضوح عند المعتزلة الذين طغت على تفاسيرهم الناحية المذهبية، أمثال تفاسير: أبي بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان **(ت٢٤٠هـ)**، وأبي علي الجبائي **(ت٣٠٣هـ)**، وعيسى بن علي الرماني **(ت٣٨٦هـ)**، والقاضي عبد الجبار الأسد آبادي **(ت٤١٥هـ)**، والزمخشري **(ت٥٣٨هـ)**، وغيرهم.

وكان كل من برع في فن من الفنون العلمية يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه، أو يغلب عليه، فظهر التفسير اللغوي الذي يبحث في لغة القرآن وإعرابه، كما فعل الزجاج **(ت٣١١هـ)** في **(معاني القرآن وإعرابه)**، والفراء **(ت٢٠٧هـ)** في كتابه (معاني القرآن)، وابن قتيبة **(٢٧٦هـ)** في كتابه **(غريب القرآن)**، والواحدي علي بن أحمد **(ت٤٦٨هـ)** في **(البسيط)** الذي يغلب عليه وعلى الزجاج البحث في الغريب من الألفاظ. كما كان من هؤلاء من اهتم اهتماما بالغا باللغة والإعراب إلى جانب التفسير بالرأي حتى عرف به كالبحر المحيط لأبي حيان **(ت٧٥٤ هـ)**.

واهتم صاحب العلوم العقلية بجمع أقوال الفلاسفة والحكماء وعلم الكلام، كما تراه ظاهرا عند الرازي **(ت٦٠٥هـ)** في تفسيره **(مفاتيح الغيب)**.

وصاحب الفقه عنى بفقه القرآن وأحكامه كالجصاص **(ت٣٧٠هـ)**، وابن العربي **(ت٥٤٣هـ)** والقرطبي **(ت٦٧١هـ)**.

وصاحب الاعتزال حشاه بما يعتقده كالزمخشري في **(الكشاف)**، والقاضي عبد الجبار في تفسيره، كما أن الزمخشري في تفسيره اهتم بالبيان حتى اشتهر به أكثر من غيره.

والصوفي قصد جانب الترغيب والترهيب، واستخراج الإشارات من معاني القرآن، وبما يتفق مع منهجهم كما فعل التستري **(٢٨٣هـ)** في **(تفسير القرآن العظيم)**، والسلمي **(ت٤١٤هـ)** في (حقائق التفسير)، والقشيري (ت ٤٦٥هـ) في **(لطائف الإشارات)**، والآلوسي أبي الثناء **(ت١٢٧٠هـ)** في **(روح المعاني)**، الذي جمع فيه بين التفسير الظاهر والإشاري.

والقصصي حشاه بالقصص وسرد الروايات والحكايات، كما هو عند الثعلبي **(ت٤٢٧هـ)** في تفسيره **(الكشف والبيان)**، والخازن في تفسيره، وغير ذلك.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن هذه المرحلة التي ابتدأت بالعصر العباسي الأول وحتى نهاية القرن السادس الهجري تعد بحق مرحلة التأصيل والتميز المنهجي في تفسير القرآن الكريم، لما ظهر فيها من حركة تفسيرية كبرى بلغت حد النضج في الاستقلال في التصنيف، ووضوح في المنهج، وبروز التفاسير الضخمة التي التزمت بأصول التفسير وضوابطه، أمثال: تفسير الطبري وابن عطية (ت٥٤١هـ) والرازي والقرطبي وأبي حيان وتفسير الطوسي (ت٤٦٠هـ) (التبيان في تفسير القرآن) وتفسير الطبرسي (ت٤٨٥هـ) (مجمع البيان) وهما من تفاسير الشيعة الإمامية المهمة التي جمعت بين المنقول والمعقول، وتفسير الزمخشري **(الكشاف)** ونحوها، وهذه تعد بحق من أجل التفاسير وأوعبها فيما وصل إلينا.